المحاضرة الرابعة:

جماعة الدّيوان:

تُعد " جماعة الديوان" من أهمّ المدارس النّقدية في العصر الحديث، والانطلاقة الحقيقية لحركة التّجديد في الشّعر العربي. وقد أحدثت ضجّة كبيرة في الأدب والنّقد. قدّم "العقّاد" و "المازني" كتابًا اسمه "الديوان"؛ والذّي كان شعلة الانطلاقة النّقدية، وقد ضَمّت هذه الجماعة ثلاثة شعراء هم: (عباس محمود العقاد، إبراهيم عبد القادر المازني، عبد الرّحمان شكري)، تألّقت هذه المدرسة ما بين 1909-1912.

تعود كلمةُ "الديوان" إلى كتاب "الدّيوان في الأدب والنّقد"، وهو سلسلةُ أجزاء أدبية ونقدية من وضع النّاقدين (العقّاد والمازني)، صدر منه جزءَان. ومن أهداف هذا الكتاب: هَدْمُ كلِّ الأصنام الأدبية المعروفةِ في ذلك العصرِ، وعلى رأسها أميرُ الشّعراء "أحمد شوقي"، كما تعرّض "المازني" إلى نقد "شكري" في الكتابِ نفسه؛ حاول فيه أن يهدمهُ شاعرًا وإنسانًا.

- استمدّت هذه الجماعةُ مبادئها من الأدب الإنجليزي، ولقد تأثر "العقّاد" بالمدرسة الرومانتيكية الإنجليزية والتّي جاءت بمبادئ نقدية جديدة، ومنه جاءت "مدرسة الديوان" مقاومةً لفكرتين أساسيتين هما:

فكرة القومية: في الأدب العربي وطريقة فهمها على نحوٍ شكليٍّ ضيّق، أو على نحوٍ إنساني واسعٍ، وهذا النّحو الأخير هو الذّي تدعو إليه المدرسة.

فكرة الاشتراكية: التي يصفها "العقّاد" بالعُقْمِ.

- امتلك "العقّاد" في كنفِ مدرسةِ الدّيوان نظرة تجديدية فيما يخصُّ مسار القصيدة العربية، بعد تكوين ثقافةٍ ذات بُعدٍ تراثي عميق، وثقافةٍ أجنبية غربية أثّرت على شكلِ القصيدة ولغتها وبناءِها، وامتازت هذه المدرسة بخصائص ميّزتها عن المدارس الأدبية في الشّعر العربي.

1/ الشّعر في ظلِّ"مدرسة الدّيوان":

ترى "جماعة الديوان" أنّ الشّعر هو التّعبير الجميلُ عن الشّعورِ الصادق، وهو تحديدٌ يتألّفُ من عنصرين أساسين: أوّلهما: "الشعور" وثانيهما "عنصر التّعبير".

يُشبّه "عبد الرّحمان شكري" القصيدة بـ: (التمثال الذّي يُكمّل كلّ جزءٍ فيها سائر الأجزاء، التحرّر من القافية بتنويعها أو التحرّر منها نهائيا، العناية بالمعنى وإدخال الأفكار الفلسفية والتأمُّل في السُّكون كلِّهِ والإنسانية، تصويرُ لبابِ الأشياءِ وجوهرها والبُعد عن الأعراض، تصوير الطبيعة والغوص إلى ما وراء ظواهرها، التقاطُ الأشياء البسيطة العابرة والتّعبير عنها تعبيرًا فنيا جميلًا).

أمّا بالنّسبة للرّافِدِ الذِّي يستقي منه الشّاعِرُ مادته، فهو "النّفس الإنسانية" فعلى الشّاعر اِلْتِزامُهُ بمسايرة العصر، كفاعِلٍ ومنفعلٍ ومؤثِّر، بما يحتدمُ فيها من مشاعر وأحاسيس، وما يصطرعُ فيها مِن قِوى الخيرِ وقوى الشرّ، والشّاعر الأصيل هو من يتقنّصُ دُرَرَهُ، ويرصد انفعالات النّفس، وكلّ ما يتحكم فيها من غرائز وعواطف إذْ أصبح الشِّعر عندهم معادلاً فنيا للشّعور.

نجد "المازني" يربط الشّعر بالعواطف، قائلاً:

وما الشِّعرُ إلّا صرخة طال حبسها يرنُّ صداها في القلوبِ الكواتم

ويقول "عبد الرحمٰن شكري" في هذا الصّدد:

ألا يـــاطائـــــــــــــــــــــــــر الفـــــــــــــــــردو س إنّ الشّعـــــــر وجـــــــدان

2/ النّقد في ظلّ مدرسة الدّيوان:

يتحدّدُ مفهوم النّقد عند جماعة الديوان من خلال تعريف "العقّاد" له بأنّه : (التّمييزُ، والتّمييز لا يكون إلّا بمزية، والبيئةُ نفسها تعلّمنا سُنَنَهَا في النّقد والانتقاء حيث تُفضي عن كلّ ما تشابه وتشرع إلى تخليد كلّ مزية تنجُمُ في نوعٍ من الأنواع، فسواء نظرنا إلى الغرائِزِ التّي ركبتها في مزاج الأنثى أو إلى الغرائز التّي ركبتها في مزاج الفنان –وهذان هما المزاجان الموكلان بالإنتاج والتخليد في عالمي الأجسام والمعاني – فإنّنا نجِدُ الوجهة في هذا أو ذاك واحدة، والغرض هنا وهناك على اتّفاق).

كما أوجبت جماعة الديوان الاعتماد على "الذّوق"؛ فالعقلُ والذّوق أساسان لابدّ منهما في نقد الأدب، وكلاهما مكمّل للآخر.

3/ بعض آراء مدرسة الدّيوان التجديدية في بناء القصيدة:

- الخيال والتّشبيه: "فالخيال والتشبيه واللّغة" لهم دورٌ فعال في بناءِ ونشوءِ الصّورة الشعرية وفي تطوّرها وتحقيقِ الغاية المرجوّة منها.
- الوحدة العضوية: (النص بناء متماسك، كلّ بيتٍ مرتبط بما قبله وممهّد لما بعده).
- الوزن والقافية.
- اللّغة الشعرية.
- الطّبعة و الصّنعة: نادت جماعة الدّيوان بأن يتحرّر الأدبُ من الصناعة اللّفظيةّ المملةّ والمتكَلَّفَةِ ، و أن يكون المعنى المنبعث من الروح هو الذّي ينبغي أن يهتمّ به الأديب والشّاعر.
- كان "العقاد" يرى بأنّ الشّعر الحرّ خَطَرٌ على العروض وموسيقى الشعر، ذلك أنّ اللّغة العربية لغة سماعية قائمة على الإيقاع والموسيقى، فالقيود عنده شيء، والقواعد شيءٌ آخر.

د. وافیه حملاوی